الفصل الثالث

إشكالية الإحصاءات

حينما تنشر إحدى الصحف أن عدد سكان إنجلترا هو كذا فنحن عادةً ما نقبل هذا (كحقيقة صلبة)، فالأرقام أرقام، وكما نقول دائمًا (واحد + واحد = اثنين). ولكن الأرقام فى واقع الأمر ليست حقائق صلبة، إذ يمكننا تفسيرها وتحليلها والوصول إلى نتائج مختلفة حسب المنهج الذى نتبعه. ولذا لو دققنا النظر لوجدنا أن بساطة الأرقام تخبىء الكثير من الإشكاليات. فيمكن مثلاً أن نسأل: هل هذا هو عدد سكان إنجلترا بمعنى المقيمين فيها، بما فى ذلك المهاجرون واللاجئون السياسيون، أم أنها تعنى المواطنين الإنجليز؟ وإن كنا نعنى المواطنين الإنجليز، فهل هذا يضم من منهم على وشك الحصول على الجنسية؟ وهل يضم أيضًا المواطنين الإنجليز المقيمين فى الخارج؟ وماذا عن الأقليات، هل ذُكرت أعدادهم؟ وهل هناك ذكر للأقلية الإسلامية، أم أن مفهوم الأقلية فى إنجلترا مفهوم عرقى وحسب؟ وهذا قليل من كثير.

يهودى بشكل ما

وإذا كان (تعداد) الشعب الإنجليزى مسألة خلافية، فإن تعداد اليهود إشكالية لم يظهر لها حل بعد. ومن أهم هذه الإشكاليات تعريف

(اليهودى): فهل اليهودى هو من يتبع تعاليم دينه أم أنه من يرى نفسه يهوديًا أم هو من يراه الآخرون كذلك؟ وفى هذا العالم التى تزايدت فيه معدلات العلمنة، يسود التعريف العلمانى للهوية اليهودية (اليهودى هو من يرى نفسه كذلك). وفى غياب مؤسسة دينية مركزية تقوم بعملية التعريف والفرز، تتداخل الحدود ويصعب تعريف اليهودى. ولذا، نجد أن بعضًا من غير اليهود قد يغيِّرون قناعاتهم فجأة ويقررون أنهم يهود، والعكس أيضًا ممكن.

ولإيضاح بعض جوانب المشكلة التى يجابهها دارسوا تعداد الجماعات اليهودية فى الولايات المتحدة، يمكن أن نشير إلى النقاط التالية:

١ - يضم **الكتاب السنوى الأمريكى اليهودى** (١٩٩١) دراسة عن تعداد يهود العالم. وقد رأى كاتب المقال أن يتناول موضوعه من خلال ثلاثة تعريفات أو مستويات:

* القطاع الأساسى من السكان اليهود (بالإنجليزية: كور جويش بوبيوليشن core Jewish population)ويضم كل يهودى يعلن أنه يهودى- بغض النظر عن كون مضمون يهوديته حقيقى أو وهمى، دينى أو إثنى، قوى أو ضعيف، وعادةً ما توضع هذه المجموعة مقابل القطاع الهامشى من السكان اليهود (بالإنجليزية: بريفيرال جويش بوبيوليشان peripheral Jewish population)، وهى تضم القطاعين التاليين:

* القطاع الموسع من السكان اليهود (بالإنجليزية: إكستندد جويش بوبيوليشن extended Jewish population) ويضم القطاع الأساسى إلى

جانب اليهود الذين تخلوا عن ددينهم (وتبنوا أو لم يتبنوا دينًا آخر) ولكنهم من أصل يهودى.

* القطاع الممتد من السكان اليهود (بالإنجليزية: إنلارجد جويش بوبيوليشن enlarged Jewish population) وتضم إلى جانب القطاعين السابقين كل من يعيش فى بيت يهودى (سواء أكان يهوديًا أو غير يهودى).

وبطبيعة الحال ، تتزايد الأعداد وتتناقص حسب المعيار المُستخدَم. وفى عصر وصلت فيه نسبة الزواج المُختلَط إلى ما يزيد على ٥٠٪، فإن القطاع الثالث يضم عددًا كبيرًا للغاية، مع أن تضخُّم هذا القطاع هو فى واقع الأمر دليل على تزايد اندماج اليهود واختفائهم. وقد بلغت الحيرة بأحد المراجع حدًا جعله يستخدم اصطلاح «يهودى بشكل أو آخر» «يهودى بشكل ما» (بالإنجليزية: جويش إن سم وبى Jewish in some way) لحل مشكلة التعريف.

٢ – نُشرت مؤخرًا دراسة ذكرت أن عدد يهود الولايات المتحدة هو ٦,٨ مليون. ثم أضافت الدراسة أن ١,٢ مليون منهم يهود لا يؤمنون باليهودية ويندمجون فى مجتمعهم بسرعة)ومن المؤكد أن أعدادًا كبيرة منهم ينضمون للعبادات الجديدة مثل البهائية وهارى كريشنا). ومنهم ٢,٣ مليون يمارسون عقيدة أخرى هى المسيحية، أى أنه بين ٦,٨ مليون يهودى يوجد ٢,٥ مليون يمارسون عبادات أخرى. وورد فى دراسة ثانية أن عدد يهود الولايات المتحدة

٨,٤٠٠,٠٠٠ وهو رقم أعلى بكثير من الرقم السابق. ولكن الدراسة تضيف أن من بينهم٢,٧٠,٠٠٠من(أصول يهودية) ولا يعتبرون أنفسهم يهودًا (أى أن العدد هو٥,٧٠٠,٠٠٠). والسؤال الذى يطرح نفسه هو: إن كان هؤلاء ليسوا يهودا من منظور الشريعة اليهودية، ولا من منظور الإثنية اليهودية، ولا من منظور أنفسهم أو جيرانهم، فلماذا تضمنهم التعداد أساسًا؟ وهل الهدف هو خلق إشكاليات حيث لاإشكاليات؟أم الهدف هو زيادة العدد لتضخيم (القوة اليهودية)؟

٣ – من المشاكل الكبرى التى تواجه دارسة تعداد اليهود فى العالم ، بخاصة فى الولايات المتحدة، أعضاء الزيجات المُختلَطة وأبناؤهم. فأحيانًا، يدخل يهودى فى علاقة زوجية مع طرف غير يهودى، ثم يتهود الطرف الآخر بشكل صورى، ويعتبر نفسه يهوديًا إرضاءً للطرف اليهودى أو لعائلته. ثم قد يُصر الطرف اليهودى على أن يكون الأطفال يهودًا، فيوافق الطرف غير اليهودى. ولكن ما يحدث فى معظم الأحيان أن الأطفال ينشأون يهودًا اسمًا دون أن يكونوا يهودًا فعلاً. ولأن اليهودية الأرثوذكسية لا تعترف بأبناء الزيجات المُختلَطة، أو بالمتهودين على يد حاخام إصلاحى أو محافظ، أو بمن وُلد لأب يهودى، فإن هناك عددًا كبيرًا من اليهود فى الولايات المتحدة يهودا اسمًا وحسب، أو يهود من وجهة نظر إصلاحية أو محافظة أو إثنية، ولكنهم غير يهود من وجهة نظر أرثوذكسية.

موت الشعب اليهودى

من القضايا التى تُثار الآن فى علم الاجتماع الغربى قضية (موت الشعب اليهودى)، وهى عبارة وضعها عالم الاجتماع الفرنسى (اليهودى) جورج فريدمان، وتشير إلى ظاهرة تناقص أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم إلى درجة اختفاء بعض هذه الجماعات وتحول الباقى منها إلى جماعات صغيرة (لا أهمية لها من الناحية الإحصائية). ورغم أن فريدمان طرح هذه الإشكالية فى الستينيات، إلا أنه تم رصدها مع بداية اختفاء اليهود الألمان (كُتبت عام ١٩٠٨) مما سماه الضعف السكانى الذى قد يؤدى إلى اختفاء يهود ألمانيا تمامًا. وفى عام ١٩٤٤ أشار يوريا إنجلمان فى كتابه **ظهور اليهود فى العالم الغربى** إلى ما سماه العملية ذات الأبعاد الثلاثة: تناقص المواليد – تزايد الوفيات – تزايد معدلات الاندماج، والتى ستؤدى إلى تفسخ السكان اليهود بالكامل.

يمكن أن نورد الأسباب التالية التى تؤدى إلى تناقص أعداد اليهود فعلاً (من دون حدوث مذابح أو انتشار أوبئة):

١ – تزايد معدلات الاندماج؛ فكثير من اليهود الذين يندمجون يخفون هويتهم اليهودية وانتماءهم اليهودى ويسجلون نفسهم بحسبانهم غير يهود. ويبلغ عدد اليهود الذين أخفوا هويتهم فى الاتحاد السوفيتى مليونًا ونصف المليون تقريبًا. كما يوجد الآلاف من اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية بشهادات تعميد أصدرها الفاتيكان لهم فى الإرهاب النازى وقد آثروا أن يحتفظوا بهويتهم الجديدة.

٢ – من أهم أسباب اختفاء اليهود الزواج المختلط إلى درجة لم يشهدها يهود العالم من قبل. وقد بلغت معدلات الزواج المختلط فى الولايات المتحدة ما يزيد على ٥٠٪، وبلغت فى الاتحاد السوفيتى أحيانًا ٨٠٪، وذلك فى الأماكن التى تقطنها أقليات يهودية صغيرة بعيدة عن مراكز التجمعات اليهودية الكبرى. وفى كثير من الأحيان يُسقط الزوج اليهودى فى الزيجة المختلطة هويته حتى لايسبب الحرج لزوجته. ولايعوض عدد المتهودين، من أجل الزواج، من عدد المنتصرين للسبب نفسه. ويلاحظ أنه بتأثير حركة التمركز حول الأنثى، بدأت الأنثى اليهودية، التى كانت تعد فى الماضى العمود الفقرى للهويات اليهودية تندمج فى المجتمع الذى تعيش فى كنفه بمعدلات تقترب من معدلات الذكور، وهى تُقبل الآن على الزواج المختلط بعد أن كان ذلك مقصورًا تقريبًا على الذكور. ويلاحظ أن أبناء الزواج المختلط يكونون عادةً إما غير يهود وإمَّا غير مكترثين باليهودية.

أما بالنسبة إلى انخفاض نسبة المواليد بين أعضاء الجماعات اليهودية، فمن المعروف أنها تصل فى الوقت الحاضر إلى واحدة من أقل النسب فى العالم، إذ بلغت ١٦ فى الألف. ويعود ذلك إلى الأسباب التالية (مع ملاحظة أن بعض هذه الأسباب ليس مقصورًا على أعضاء الجماعات اليهودية، وإنما هو ظاهرة عامة فى المجتمعات الغربية التى توصف بـ«المتقدمة»):

١ – تفشى قيم المنفعة واللذة والفردية والأنانية فى المجتمعات المسماة متقدمة، وهى قيم تتناقض مع فكرة الأسرة والزواج وإنجاب الأطفال

وتنشئتهم، بكل ما يتضمن ذلك من قيد على الحرية وتخلٍ عن المتعة الحسية المباشرة.

٢ – الزواج المتأخر، وهو ظاهرة عامة فى هذه المجتمعات ناجمة عن تصدع مؤسسة الأسرة، وعن امتداد الوقت الذى تستغرقه العملية التعليمية، وتأخر الاستقلال الاقتصادى للأبناء.

٣ – تزايد عدد الشذاذ جنسيًا فى هذه المجتمعات بنسبة تصل فى بعض مدن الغرب إلى ٣٠٪، وهناك نسبة عالية منهم من أعضاء الجماعات اليهودية. وينتمى معظم الشذاذ إلى المرحلة العمرية النشيطة جنسيًا، وهذا يعنى أن عددًا كبيرًا من الذكور والإناث ينسحب من عملية الإنجاب.

٤ – انسحاب كثير من النساء من عملية الإنجاب فى المجتمعات المسماة متقدمة بتأثير من حركة التمركز حول الأنثى، التى تجعل أى نشاط أنثوى خاص (مثل الإنجاب) أمرًا سلبيًا أو معوقًا لنشاط المرأة فى الحياة العامة. ومن المعروف أن عددًا كبيرًا من قيادات هذه الحركة من اليهوديات، وأن نسبة اليهوديات المنخرطات فيها تفوق المعدل القومى.

٥ – تفسخ الأسرة اليهودية وتزايد نسبة الطلاق، وهما أمران يزيدان فى الإحجام عن الإنجاب.

٦ – تركز أعضاء الجماعات اليهودية فى المدن، فهناك خمس مدن أمريكية تضم أكثر من نصف الجماعة اليهودية فى الولايات المتحدة

(تضم نيويورك ١,٤٥٠,٠٠٠، لوس أنجلوس ٤٩٠,٠٠٠، شيكاغو الكبرى ٣٤٨,٠٠٠، ميامى ١٩٩,٠٠٠، فيلادلفيا ٢٥٠,٠٠٠). وأكثر من نصف مجموع يهود أمريكا اللاتينية (٢٠٠,٠٠٠) موجود فى بوينس أيريس، وأكثر من نصف يهود جنوب أفريقيا (٦٣,٠٠٠) موجوزد فى جوهانسبرج، وأكثر من نصف يهود فرنسا (٣٨٠,٠٠٠) موجود فى باريس، وهكذا. أما النصف الثانى فموزع على مدن كبرى أخرى، أى أن الأغلبية العظمى من الجماعات اليهودية موجودة فى مراكز حضرية، ومن المعروف أن المدن لم تستطع عبر التاريخ أن تحتفظ بكثافتها السكانية من خلال التزايد الطبيعى، لأن سكان المدن من أقل القطاعات البشرية خصوبة.

وقد أدى هذا كله إلى تناقص عدد المواليد. كما أن مستوى العناية الصحية آخذ فى التحسن، وهو ما يؤدى إلى زيادة معدلات العمر ونسبة كبار السن الذين يعتبرون شريحة غير خصبة من السكان. ويلاحظ أن ١٦٪ من أعضاء الجماعات اليهودية تتجاوز أعمارهم ٦٥ عامًا، وتصل نسبة المسنين بينهم إلى ٢٩٪ أحيانًا.

وقد أدى كل هذا إلى تناقص نسبة المواليد بين أعضاء الجماعات اليهودية، حتى أصبحت واحدة من أقل النسب فى العالم. وأى جماعة إنسانية، حتى تعيد إنتاج نفسها بيولوجيًا، لابد أن تنجب الأنثى التى ينتمى إليها ٢,٩ طفل فى المتوسط لكن المرأة اليهودية فى الولايات

المتحدة قد تكون أقل الإناث خصوبة فى العالم، فالإناث فى المرحلة العمرية ٣٥ – ٤٤ ينجبن ١,٥٧ طفلاً، أما المرحلة العمرية ٢٥ – ٣٤ (وهى المفروض أكثر المراحل خصوبة) فالإناث ينجبن فيها ٠,٨٧. أى أقل من طفل واحد، مما يدل على أن منحنى التناقص آخذ فى الازدياد.

وقد بلغ عدد اليهود ١٣,٨٣٧,٥٠٠ عام ١٩٦٧، وبلغ ١٢,٩٨٨,٦٠٠ عام ١٩٨٢، أى أن عدد اليهود نقص بنحو المليون فى هذه الفترة دون إبادة ومن خلال تناقص طبيعى. ويبلغ عدد اليهود حاليًا ١٣,٠٩٢,٠٠٠ـ أى أن عددهم ظل ثابتًا قرابة ربع قرن. ويتوقع معهد اليهودية المعاصرة التابع للجامعة العبرية بالقدس أن يصل عددهم إلى ١٣,٤٢٨,٠٠٠ عام ٢٠١٠. ولكن هناك توقعات أكثر تشاؤمًا من منظور صهيونى. فيذهب صموئيل لايبرمان ومورتون واينفيلد إلى أن عدد يهود الولايات المتحدة سيصل إلى ٣,٩ مليون عام ٢٠٧٠. أما إلياهو برجمان (بمركز هارفارد للدراسات السكنية) فهو أكثر تشاؤمًا إذ يرى أنه حينما تحتفل الولايات المتحدة بعيدها المئوى الثالث (٢٠٧٦) لن يتجاوز عدد اليهود ٩٤٤,٠٠٠ (أى أقل من مليون). مع ملاحظة أن كلمة (يهودى) – كما أسلفنا – يتلاعب بها الديموجرافيون اليهود حتى يزيدوا من أعداد اليهود فى العالم. وفيما يلى إحصاء بعدد اليهود فى العالم حاليًا (عام ٢٠٠٠) وبعد عشرة أعوام (٢٠١٠):

أمـاكن التواجـد	العـدد الحالى	العـدد المتوقع فى عام ٢٠١٠
إسرائيل	٤,٧٩٠,٠٠٠	٥,٦٤٤,٠٠٠
أمريكا الشمالية	٦,٠٦٢,٠٠٠	٥,٩٣٩.٠٠٠
أمريكا الوسطى والجنوبية	٤٢٨,٠٠٠ (تضم الأرجنتين وحدها ٢٠٢ ألف)	٣٩٨,٠٠٠
أوربا	١,١٣٨,٠٠٠ (تضم فرنسا وحدها ٥٢٢ ألف)	١,٠٦٦,٠٠٠
الاتحاد السوفيتى السابق	٥٤٠,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠
آسيا وشمال أفريقيا	٢٨,٠٠٠	٢٦,٠٠٠
جنوب أفريقيا + منطقة المحيط الهندى	١٩٥,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠
الإجمـالى	١٣,٠٩٣,٠٠٠	١٣,٤٢٨,٠٠٠

المصدر : معهد اليهودية المعاصرة المسمى باسم (أ. هيرمان) والتابع للجامعة العبرية بالقدس.

ويُقال إن نصف يهود العام سيكونون فى إسرائيل بحلول منتصف القرن المقبل، وليس ذلك بسبب الهجرة ،وإنما بسبب نقص الجماعات

اليهودية فى الخارج، واختفاء معظمها، وتركز أغلبيتها فى الولايات المتحدة.

ولذا يمكننا القول إن يهود العام سينقسمون إلى قسمين أساسيين:

١ – أمة تتحدث بالعبرية فى إسرائيل، ليس لها سوى علاقة واهية بالعقيدة اليهودية أو بالتاريخ اليهودى (أى تواريخ الجماعات اليهودية). وتعتمد فى وجودها على حكومة الولايات المتحدة، وتوجهها الحضارى استهلاكى متأمرك. ويمكن أن نستخدم هنا مصطلح جورج فريدمان للإشارة إلى الإسرائيليين بأنهم (أغيار يتحدثون العبرية).

٢ – جماعة يهودية فى الولايات المتحدة، تنقسم بدورها إلى قسمين:

(أ) قلة صغيرة متمسكة بتعاليم الدين اليهودى، وتحاول قدر استطاعتها أن تُنقّذ تعاليمه وتفهم شعائره.

(ب) أغلبية باهتة الهوية لا تُمارس الشعائر الدينية، وإنما تُقيم بعضها باعتباره شكلاً من أشكال الفلكلور. وهى تحاول أن تحافظ على بقايا الموروث الثقافى اليهودى الذى يعود بجذوره إلى شرق أوربا، على الرغم من تزايد معدلات أمركتها.

وهذا يعنى أن الدياسبورا اليهودية ستصبح أساسًا الدياسبورا الأمريكية، أو الجماعة اليهودية فى الولايات المتحدة، أى أن أعضاء الجماعات اليهودية ستصبح جزءًا لا يتجزأ من الشعب الأمريكى، بعد

أن كانت جزءًا لا يتجزأ من التشكيل الاستيطانى الغربى (فى أمريكا الشمالية واللاتينية وجنوب أفريقيا وأستراليا ونيوزيلندا). وإذا أخذنا فى الاعتبار اعتماد إسرائيل شبه الكامل على الولايات المتحدة، فإنه يمكننا القول بأن يهود العالم سيعيشون فى القرن المقبل داخل الولايات المتحدة، أو أنهم سيدورون فى فلكها الحضارى والاقتصادى والسياسى.

ستة مليون ؟!

بدأت ظاهرة (موت الشعب اليهودى) مع نهاية القرن التاسع عشر، بعد حدوث الطفرة السكانية الثانية (التى سنتناولها فى الفصل الثالث)، أى قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية. وهنا يمكن أن نطرح قضية (ستة الملايين). هل تم حرق ستة الملايين كما يرد فى كثير من المراجع الغربية، أم أن أعدادًا منهم اختفت من خلال التناقص الطبيعى؟ ويمكن أن نشير إلى أن ثمة عناصر أخرى ساعدت على تصعيد هذا التناقص فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر يمكن أن نذكر منها ما يلى:

١ - أسباب تؤدى إلى العزوف عن الإنجاب وإلى تناقص الخصوبة ومعدلات التكاثر.

(أ) أدَّت الهجرة اليهودية الكبرى فى نهاية القرن التاسع عشر إلى انتقال أعداد كبيرة من اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويُقال إن هجرة اليهود قضت تقريبًا على اليهود فى المرحلة العمرية من عشرين إلى أربعين عامًا، وهى مرحلة الخصوبة التى تجعل بإمكان الجماعة أن تُعيد إنتاج نفسها. والإنسان المهاجر أقل خصوبة من الإنسان المستقر.

(ب) كان أعضاء الجماعات اليهودية فى الغرب يضطلعون بدور الجماعة الوظيفية الوسيطة، أى بأعمال التجارة والمال. وكانوا، لهذا، مركزين إما فى المدن أو المناطق شبه الحضرية. ومع منتصف القرن التاسع عشر، تصاعد هذا الاتجاه وتزايد تركزهم فى المدن بحيث أصبحت أغلبيتهم الساحقة تسكن فى المدن عشية الحرب العالمية الثانية.

(جـ) كانت هناك عناصر أخرى أدّت إلى عزوف اليهود عن الإنجاب، من بينها تحسن مستواهم المعيشى، والقلق الذى كان يعيشه أعضاء الجماعات اليهودية فى الفترة بين الحربين وإبان الحرب العالمية الثانية، وكذلك تزايد معدلات العلمنة وبالتالى زيادة التوجه نحو اللذة وتحقيق الذات، الأمر الذى يقوض من الرغبة فى إنجاب الأطفال.

وبالفعل يُلاحَظ تناقص أعداد اليهود وضمنهم يهود اليديشية. فبعد أن كانوا يتمتعون بأعلى نسبة خصوبة وتَكاثر بين شعوب الإمبراطورية القيصرية فى منتصف القرن التاسع عشر، انخفضت النسبة إلى أقل النسب على الإطلاق فى عام١٩٢٦. فبعد أن كانت٣٥,٩ فى الأف، انخفضت إلى٢٤,٨ فى الألف. وفى بولندا، انخفضت النسبة من٢٨,٦ فى الألف عام١٩٠٠ إلى١٢,٣ فى الألف عام١٩٢٥ فى وارسو، وإلى ١١,٦ فى الألف فى لودز عام ١٩٢٥. أما يهود المجر، فقد انخفضت النسبة بينهم من ٣٣,٩١ فى الألف فى بداية القرن الحالى إلى١٠,٥ فى الألف، أى أنها

انخفضت نحو ٢٣,٤ في الألف. وكانت نسبة المواليد في بروسيا (ألمانيا) ٥,٢ في الألف عام ١٩٣٥ و٢في الألف في لندن عام١٩٣٢. وقد حدا هذا الوضع بالكتّاب اليهود إلى التحذير من أن يهود أوربا قد يختفون تمامًا لأن معدلات المواليد لا تعوض الوفيات. وعلى مستوى العالم ، كانت النسبة ٣٥,٥ في الألف في الفترة ١٨٢٢ – ١٨٤٠ ، انخفضت إلى ١٩,٧ في الألف في الفترة١٨٩٨ – ١٩٠٢ ، ثم إلى٩,١ في الألف عام ١٩٢٩. كما أنها انخفضت إلى ما دون ذلك لمدة عشرين عامٌ (١٩٢٩ – ١٩٤٩). وكان معدل نسبة المواليد في الفترة ١٩٠٦ – ١٩١٠ هو ٣٢ في الألف، ونسبة الوفيات ١٥ في الألف، والزيادة الطبيعية هي ١٧ في الألف. ثم انخفضت إلى نحو النصف في نحو خمسة وعشرين عامًا، ففي الفترة ١٩٢٦–١٩٣٠ كانت نسبة المواليد هي٢١في الألف والوفيات١٢في الألف، والزيادة الطبيعية ٩ في الألف (انخفضت إلى ٨ في الألف عام ١٩٣٢). ولا توجد إحصاءات عن الفترة ١٩٣٥ – ١٩٤٩ لأنها كانت فترة الحرب، كما أنها أصبحت موضوعًا يحجم كثير من الباحثين عن الخوض فيه، وإن كان يمكن القول: إن منحنى الانخفاض كان آخذًا في الهبوط لأن الأسباب التي كانت تؤدى إليه لم تختلف، وإنما ازدادت حدة.

٢ – عوامل تؤدى إلى الاختفاء:

(أ) ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر كان يتم تجنيد أعضاء الجماعات اليهودية، وهو أمر جديد كل الجدة، إذ كانوا يتمتعون

بالإعفاء من الخدمة العسكرية قبل ذلك، كما سقط منهم ضحايا بأعداد كبيرة فى الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية. لكن هذا العنصر لا يؤدى إلى انقاص عدد اليهود مباشرة عن طريق سقوطهم قتلى وحسب وإنما بشكلٍ غير مباشر أيضًا عن طريق معدل العزوف عن الإنجاب. كما أن العناصر القادرة على القتال هى عادة من الذكور فى سن الخصوبة.

(ب) تَنصُّر أعداد كبيرة من اليهود، وهو شكل من الأشكال الحادة للاندماج. وقد تزايد المعدل عشية الحرب العالمية الثانية لأسباب عملية منها الهرب من بطش النازى. كما حصل كثير من اليهود على شهادات تعميد من الكنيسة الكاثوليكية حتى يتيسر لهم دخول أمريكا اللاتينية. وآثرت أعداد كبيرة منهم عدم الإفصاح عن هويتهم اليهودية حتى بعد زوال الخطر.

(جـ) ينطبق الشىء نفسه على مئات الألوف من الذين هاجروا إلى روسيا السوفيتية هربًا من النازى. فكثير منهم لم يفصح عن انتمائه اليهودى، خصوصًا وأن الاتحاد السوفيتى (سابقًا) كان يترك لكل شخص أن يحدد انتماءه، فلو كان الشخص يهوديًا وعرَّف نفسه بأنه (روسى) أو (أوكرانى) فإن الأمر كان متروكًا له. ومع تآكل الهوية اليهودية، لم يعد هناك دافع قوى لدى كثير من اليهود للإفصاح عن هويتهم.

٣ – ظروف الحرب العالمية الثانية:

لابد أن نضيف إلى كل ذلك ظروف الحرب العالمية الثانية التى صعدت من كل العناصر السابقة وزادتها حدة، ولابد أن نأخذ فى الاعتبار انتشار الأوبئة وسوء التغذية فى نفس الفترة. كما ينبغى الإشارة إلى بعض طرق الإبادة البطيئة غير أفران الغاز، مثل أعمال السخرة وعزل اليهود فى الجيتو بمناطق مستقلة مزدحمة يعملون ويعيشون فيها تحت حد الكفاف، وهو ما كان يعنى المزيد من الجوع والمرض. ويُقال: إن نحو ثلث سكان جيتو وارسو قضوا نحبهم بهذه الطريقة، وإنه كان من المتوقع لهم جميعًا أن يُبادوا تمامًا خلال عدة أعوام. (وهذا العنصر هو ولا شك عملية إبادة، إذ لا يهم أن يموت الضحية بأفران الغاز أو عن طريق التجويع. ولكننا نذكر هذا العنصر أيضًا حتى تكتمل الصورة لدينا). كما هلك الآلاف بسبب حالة الحرب ابتداءًا من عدم توفر الرعاية الصحية، وانتهاءً بالغارات على المدن، مرورًا بأحكام الإعدام التى كان النازيون يصدرونها على اليهود وغيرهم.

وإذا أخذنا فى الاعتبار كل هذه العناصر يصبح من الصعب أن نعزو اختفاء ستة الملايين يهودى (أو حتى أربعة الملايين حسب بعض الإحصاءات) إلى أفران الغاز وحدها أو عمليات الإبادة كتصفية جسدية متعمدة فحسب.

نعم! قد يكون عدد اليهود الذين (اختفوا) هو ستة ملايين، ولكن هل (حُرق) جميعهم فى أفران الغاز النازية؟ هل الأرقام حقائق صلبة فعلاً؟!